صور حية من معارك نقيل يسلح

الرحلة بدأت من الشيخ عثمان فالعزيبة- طور الباحة-المفاليس- تعز

إعداد/ سلوى صنعاني :

كـم مـرة مررنا بمنعطفات نقيـل يسلح صعوداً ونزولاً منعمـين برحلاتنا من وإلى صنعـاء، واحياناً يروق للبعض منا ان يرفع صوت الأغاني الصادحة في السيارة لم نفكر ولم يخطر على بال احد منا.. أن يلقي تحية لأرواح البواسل المرفرفة في سمائه والذين لولا تضحياتهم الجسيمة ماتسنى لنا ذلك.

ذات يـوم قصـدوا النقيل أحلامهم تسبق خطواتهـم يحملون أرواحهم على أكفهـم ليقدموها قرباناً لهذا الوطن ولأهلة ومن اجل كرامته.

هنا دارت رحى معارك علا غبارها الهامات والوجوه... وتناثرت أشلاء أجسادهم ورووا بدمائهم حجارة النقيـل وطرقاته الترابية.. صنعـوا مأثرة يفاخر بها الوطـن... وتتناقل الأجيال تفاصيلهـا ومضت الأقلام تسطر جزئياتها وإحداثها.

ومـن حسن الحظ إنني على صلة بأحد الذين عـادوا منها سالمين... وقد وجدت صعوبة كبيرة في انتزاع تلـك الحقائـق منه. لا لسبب بـل لأنه رجل عفيف، وقد رفض الحديث معي.. حتـى لا يقال عنه انه يظهر بطولته لكنني حاولت أقناعه.. وهو الزميل نصر صالح بن صالح الملقب باليافعي.. محاولة إجلاء الصدى عن ذاكرته المليئة بغيوم الأسى وعن نفسه المفعمة بالحزن..

التزفير :

قبـل الخوض في تفاصيل المعركـة كان للحديث مقدمات تبـدأ من رحلته الاقصائيـة من عـدن إلى تعز عبر منطقـة المغاليس مع فرقته التـي تراوح عددها بـين 400-600 فرد عبر سيارات أعدتها رجال العزيبة وعلى رأسهم (سيف العزيبي) المشكور لهم ذلك الجهد.

إذ جاءتهـم توجيهات قيادتهم من بالانسحاب مـن مواقع المواجهة مع إخوة السلاح. وكان نصر عضواً في " التنظيم الشعبي الناصري للقوى الثورية لجبهة التحرير (الصاعقة) وانتهت برحلتهم بالسيارات ثم راحلين إلى صالة والى شارع جمال وكانت أيامها تعز تعج بالجنوبيين المنفيين من عدن.

جاء اتصال يدعو لأغاثه صنعـاء المحاصرة وتجمع الجميع في معسكر الحوبان ليلاً.. وكان الذهاب والاستجابة لهذه الدعوة طوعية وليس اجباراً ليلتها اعترض المناضـل علي محمد سعيد البيحاني ولقبـه (هارون) على ذهاب الشباب وكان رفضـه ليس جبناً بل حرصاً بفعل تجربتـه في الدفاع عن ثورة 26 سبتمبر62م وحتـى لا يتعرض هـؤلاء الشباب للبيعة من كمائن وافخـاخ ولأنهم لا يعرفون ارض المعركة ولا تضاريسها .. وهو رفض له مبرراته المنطقية.

لهم تجـاوزه الشباب وتجهزوا للانطلاق لإنقاذ فريق الصاعقة .. وفتح الطريق وفك الحصار عبر يسلح.

ضمـن تلك الجمهرة الغفيرة كانت عناصر قـد تدربت في معسكر (الليوي) وعناصـر متدربة من جيش التحرير والجيـش اليمني (الحرس الوطني) النظامي الذين تشجع بهم المتطوعون.

عـبر نقيل سمـاره نقلوا بعـد ان تركوا أسلحتهـم في معسكـر الحوبان، لأن التوجيهات قضت بتسليحهم في معسكر معبر الذي وصلوا إليه.

في معسكر معبر :

وصل المدافعون إلى منطقة معبر وهي تلي مدينة ذمار فيها معسكر أطلق عليه اسـم معبر يقع في منطقة سهليـة (قاع جهران) ذلك المعسكـر المبني من الطين ويبـدو عليه لمسات الأتراك وهو من مخلفاتهم كان خالياً إلا من نفر معدودين " يلبسون زيـاً مدنياً ويتمنطقون بالجنابي " وهم متعهدون للجيش اليمني بتحضير وإعـداد وتزويد المتطوعـين بالأسلحة أمـا المهمة المطروحة أمامهـم فالأولى نجده الصاعقة فوق قمة يسلح والمهمة الأخرى فتح الطريق إلى صنعاء انتظرت الجموع المفعمـة بالحماس ان يبادر المتعهدين بمدهم بالسلاح والعتاد. ولكنهم لمسوا برودا كبرودة الطقس الذي الهبهم بسياطه تقدموا منه متسائلين أين السلاح؟

فأجابـوا عنهـم " السلاح فـوق نقيل يسلح "!! علا صـوت احد المحاربين القدامـى الذيـن اشتركوا في معركـة ثـورة 26 سبتمبـر 62م واسمه صالح الاقطـب والاقطب لقب أطلق عليه لأنه فقـد اصابعة بالرصاص أثناء المعارك إما اسمه الفعلي فهو (صالح العولقي) وقال: " هذه بيعه ياعويله ".

وسرت الهمهمات بين الجموع وتسأل بعضهم بغرابة عن هذا الرد وعن ذلك الموقف المريب، ولم يجدوا أجابه هنا شموا رائحة الخيانة.

استفزهم الوضع فهاجوا حين سمعوا عبارة ذلك المناضل الخبير ذي التجربة " لقد سلموكم للملكيين " وأغلقوا المعسكر وأعلنوا حالة الطوارئ فيه وأصروا علـى الحصول على السلاح الأمر الذي أخـاف المتعهدين وأجبرهم على توزيع الأسلحة وهي عبارة عن بندق تشيكي الصنع وبعض الطلقات.

ضحـى ذلـك اليوم الرمضـاني تحرك أكثر مـن مائتي شخص وبصحبتهم دبابتـين وسيارتين نوع لاندروفر تحركت الدبابـات والسيارتان مباشرة عبر طريق نقيـل يسلـح الترابي.. بينما تبع الجمـع المرشد راجلين سيراً علـى الأقدام وفي طريقهم مروا بإحدى القرى متجهين من غرب النقيل إلى شرقه.

كان المرشد وهو زيدي الأصل يمشي بطريقة أثارت الريبة في نفس نصر الذي كان يسارع الخطى وراءه مباشرة.

أثنـاء السير رأه يختفي تحت صخرة بينمـا المجاميع تسير جملة إلا نصر ظل يتتبـع خطى المرشد سريعا لارتيابه فيه وشكه في أمره. لحق به في الحال.. الامر الذي تفاجأ به المرشد وهو يرى نصر امامه.

نظـر نصـر إلى قنبلة كان يحملهـا المرشد في يـده فوجه اليه البندقيـة التشيكية وسأله عـن سر وجـود القنبلـة بحوزته وهـو مرشد فقـط . اردف نصـر ثائراً في وجهـة قائلا: " هـذا الذي تفعله مشين " وفي ثورته هذه لمحة احد رفاقه وهو المناضل الجسور " احمد عبدا لله الحيـك " الذي سمع الحـوار فما كان منه سـوى ضرب المرشد يعقـب الكلاشينكوف وهم بقتله وهـو يصرخ ويتوسـل ولكن نصر احال دون ذلك بتدخلـه وسلبه القنبلة التي كان ينوي رميها علـى الفرق المتطوعة وطرده وهم مازالـوا في الطريق واكتفوا بارشاد بعض القوى التـي تعـرف تضاريـس المنطقة ولها دراية بها.

واصلوا رحلتهـم الراجلة وجرابهم فاضية إلا مـن بعض (الكدم) وبعض المـاء والتمر الذي أعطوهم إياه أهالي القرية التي مروا بها .

اللقاء :

والتقـوا برفاقهم الارسى (الشاحنـة) التي تحصل عليهـا احدهم في معارك ردفان من الانجليز والسيارة اللاندروفر والدبابتين.

كان الجو بارداً جداً بيد ان حماستهم الحارة كانت تبعث الدفء في أجسادهم .وبالقـرب من نصـر كان الأخ المناضل عبده احمد ناجي الحاج الكثير النكات وهـو ينتمي لأب من منطقة التربة ومن مواليد الشيخ عثمان حالياً يقيم في دولة الإمـارات العربية وهـو اصغر سناً من نصر إلا انه أكـثر شجاعة نصح من حوله بالتدفئة تحت الدبابات الرابضة على صدر يسلح.

كانـت الشمس تأذن بالمغيب والنهار يلفظ أنفاسه في نزاع مع خيوط الظلام الأولى وهنـاك بدد ذلك الصمت المريب كـرة أدميه تدحرجت من فوق الجبل وراؤهـا بعين رأسهم عيان، رجلين من الصاعقة ـــجنديين) متشابكين بالأرجل والأيدي على شكل كرة تدحرجاً من تلك ألتله في قمة النقيل إلى أسفل ووقفا علـى رجليهما ولم يحدث لهم أي سوء وتلك من اللياقة التي يتمتع بها رجال الصاعقة.

وعرفنا منهم إنهما آخر عنصرين تبقيا من الصاعقة.

بعـد تبادل التحيـة تساءل رجلا الصاعقة عن مجـيء المتطوعين فأجابوهم أنهـم جـاءوا لإنقـاذ فريق الصاعقـة التي حصـدت مدافع الهـون والرصاص أرواحهم وصنعتهم الأمن هذين الجندين اللذين صمدا وبقيا على قيد الحياة.

فجـأة دوى انفجار عنيف تردد صداه بين الجبـال أرعب الجميع وعلمنا من الجنديـين ان الانفجـار من تدبيرهمـا لقد قررا نسف المكان بمـا فيه بعد ان دب اليأس في نفسيهما من وصول نجـدة إليهما او تعزيز بعد ان استشهد كافة أفراد السرية البطلة بنيران الملكيين.

ووفقـاً لتوجيهات القيـادة توزع الجمع واخـذوا مواقعهم ولكنهـم تفاجئوا بغيـاب المرشدين االلذان كانا معهـم واللذان اختفا فجأة. واتضح فيما بعد إنهم يعملون مع المرتزقة الملكيين.

■ المتطوع / نصر صالح

وجـاءت الزخات الكثيفة مـن الملكيين الذين عرفوا أين موقع المقاتلين من عملاءهم المرشديـن وتـوالى القصـف ليـلاً عليهـم ببوازيـك أمريكية بـين 10 ومدافع الهاون التي راحت (داناتهـا) تلعع في سماء يسلح على رؤوس المقاتلين.

ومن خلال نيرانهم عرف المقاتلون بعض مواقـع الملكيـين. وكان نصـر بالقـرب مـن الشهيـد سالم يسلـم الهارش وقـد لمح بين بندقية نوع FN تحصـل عليها أثناء معاركة مع الانجليز في ساحات عدن بينما كان هاشم يمسك بندقية كلاشينكوف بينما كان بحوزة الأخ صالـح الاقطـب بـازوكا وبعض مدافع هون صغيرة.

قـررت القيـادة التقـدم إلى مواقع العدو حتى يتسنى لها ضربهم عن قرب.

يقـول نصر: ومنذ الخيـوط الأولى للفجر وحتى الظهر دارت معركـة عنيفة بين العدو والمقاتلـين. عدنا أدراجنـا ... وعصرية اليوم التـالي بعد ان لمسنا مدى تفوق العدو علينا بالإمكانيات وقياسنا لمعداتنا. شعرنا ان لا تكافؤ يمكننا من النيل منهم... وان الشجاعة وحدها لا تكفي دون أسلحة ومعدات بحجم مايملكه العدو.

فقـد اتضـح ان الدبابتين قد خلـت من الذخيرة بعد قذيفتـين اثنتين فقط أطلقـت على موقع العدو كانـت فكرة احمد الحيك رحمـه الله ومجموعته قد طرحهـا للانسحاب بعد تقييمهم للقـدرات الميدانية الغير متكافئة وكان الوقت بعـد الظهـر إلا ان الشهيد " العـم سالم " كما كان يحـب مخاطبوه التحدث معـه لدماثة خلقه رفض الانسحاب وامسك بالحيته الصغيرة وقال لهم " عيب علينا ترك المعركة".

وخـلال مجادلات ومحاولات إقناع العم سـالم يسلم الهارش وهاشم عمر ومعهمـا مجموعة من المقاتلين تم طرح فكرة الانسحاب للتزود بالسلاح والعودة إلى المعركة إلا أن العم سالم ورفاقه أبوا ترك مواقعهم، اختار الشهادة .. وكان هو وعمر هاشم صائمين من بين المقاتلين.

في تلك العصرية استغلـت المجاميع الشاحنة " الارسى " وعادت أدراجها مودعة العم سالم وعمر هاشم ومجموعة من المقاتلين أبت العودة مع المجاميع.

عنـد المنعطـف الأول أثنـاء نـزول الشاحنة المكشوفـة والمسلحـة بأعمدة حديديـة أمطرت قوات المرتزقة بحقد المقاتلـين الذين على متن الشاحنة بوابل مـن الرصاصـ تلته مدافع الهاون وكان الضرب من اتجـاه قرية يطلق عليها قرية (الروسـ) أصيب أحـد المقاتلين في ساقه وهو من الصبيحـة . تنبه عبده الحاج بمصـدر الضـرب بأنه من جهة الموقـع التابع للصاعقة بعـد أن تم تصفيتها أحتله الملكيـون . وفي ذلـك الوقت مثل سائـق الشاحنة لم ينتبـه المقاتلون إلى ذلك لأن المقاتـل الشجاع أحمد الحيك سحبه إلى جانبـه وتولى قيادة الشاحنة دون أن يشعرهم.

ونتيجـة هذه الغارة عليهم كان أحدهم قد توفي لأنه كان مصاباً بمرض القلب وجاءت الصدمة وأثرت عليه فتوفي في الحال وعمره 14 عاماً .

سيطرة الحيك :

والحديث للأخ نصر :وقعت إحدى القذائف الهون قبالة الشاحنة وأعطبت شظاياهـا عجلاتها. إلا أن أحمد الحيك قادها بحنكة وسيطر عليها بقوة واستمر في السياقة حتى بلغ مكاناً آمناً في النقيل بعيداً عن مرمى أوقف الحيك الشاحنة لإصـلاح وإبـدال العجلة وهنـاك رأينا منظـراً مؤلماً وموجعـاً.... حيث انهالت ضربـات العـدو على من تبقي من أخوتنـا وتحركت الدبابات التـي تقافز إليها المقاتلون ولكنها ناثرت أجسادهـم أشلاء وسالت دماءهم الطاهرة على جنباتها وأصبـح لون الدبابات حمراء بـدلاً من لونها الأخضـر ... وكانت الفاجعة بل نالوا الشهادة .

وواصلنـا رحلـة الانسحاب إلى معـبر وهناك التقينا بـالأخ علي الذي جاء ليعـرف أخبارنا وسلمناه السائق القتيل والمتوفي ليتصرف في قبرهم ومضينا إلى تعز .

وهنـاك أتضح لنـا وبعد أيام أن يسلم سالم الهارشـ وهاشم عمر إسماعيل ونصر بن سيف وحسن سعيد يافعي ومعهم مجموعه من الأخوة قد أستشهدوا منهـم أثناء المعركة ومنهم أسروا ثـم تم تصفيتهم، وأذكر هنا أن الشهيد عبد الله فريد بيحاني وهو أب قد أصيب بالحمى وكان برفقة الأخ محمد الجعشني الذي سلمه لشدة مرضه للأهالي في أحد القرى وهناك تم أسره وتصفيته.

ومكثنا فترة في تعز حتى جاء الطلب مرة أخرى بعودتنا إلى ساحة المعركة ... والرسل كانوا من الضباط المحترمين ولكننا رفضنا لاعتقادنا أن التوجه إلى نقيل يسلـح مرة أخرى . وكلنهم أخبرونا بأن التوجـه سيكون إلى مواقع القتال حول صنعـاء وبالطائرة . وانتقلنا عبر طائرتين نـوع "داكوتا" دي سي3 مع العملاق الطيـار جوهر لتوزيعنا على فـرق الصاعقة . وأثناء الطـيران تعرض للقصف .. فأخـذ اتجاهاً عمودياً لتفادي الضربات شعرنا مع هذه الحركة بأننا سنلفظ أمعاءنا من أفواهنا....

وهبط بنا في المطار الجنوبي حالياً شارع السبعين وكانت المفاجأة لنا . فقد كنا نتوقـع قدوم قائد الصاعقة الشهيد عبد الرقيب عبـد الوهاب . ولكن من قابلنا هـو "الوحش" قائد سلاح المظلات، وكان هنـاك تنافس بينهما للحصول على أكبر عدد من المتطوعين .

ونشـأ خلاف بيني وبين الوحش تعرضت لنقمته لأنني رفضت العمل معه في المظـلات.. كنت أتوق للالتحاق بـدورة مع الصاعقة لإعجابـي بهم . وأمر بسجني بقوله "أخقوه بيت خالته" ولم أكن أعرف ماذا يعني ذلك؟

ثـم أمرهم قائـلاً :غسلوه؟ ولم أعرف أن غسلـوه.. انزلوه في "البلاعة" ثم أمرهم بضربي حتى استسلمت لأوامره . وعلى يده تعلمت ماذا تعني العسكرة . واصطحبنـي معه إلى نقـم في المعارك الدائرة هنـاك . إلى أن جاءت فرصة ... هربـت منه إلى قاعـدة الصاعقة وأخذت دورة هناك وأبقـوني كمقاتل ثابت في جبهـة عيبان فعلى الرغم من أن الحصار قد انتهى إلا أن المواجهات بقيت قائمة حتـى أغسطس 68م في عيبان ونقم والدبة السوداء وبني مطر. وذات يوم من أغسطـس سلمت أغراضـي لقائد الموقع أسمه اليافعـي وطلبت الإذن بالمغادرة بحجـة زيارة الوالدة المريضة في تعز.. ولكنه أحس بأنني لن أعود ومع ذلك قدر وضعـي وأطلق سراحي . توجهت إلى تعـز في تعز قابلني كبير المعلمين الأستاذ محمـد عبده ناشر وطلب مني الغوث في إنقـاذ عبد الرقيب عبد الوهاب الذي قتلوه.... ولكننـي أدركت أن الوقت لا يسعفنا بهذه المهمة . ولم يطب لي فيها المقـام بعد ذلك عدت مغامـرة إلى عدن ..!! ولكن والدي الذي كان عضواً في الجبهـة القومية قد حمـاني من التعرض لأية مساءلـة أو اعتقال وهكذا أنتهت الحكاية .